عدم الإيذاء والرحمة

عباد الله مازلنا مع هذه الشريعة الغراء الجميلة البديعة التي تمتد بنا منهجًا وحياةً إلى يوم القيامة، هذه الشريعة التي شرعت الدين كله عبادات ومعاملات.

فكما شرعت الصلاة ... شرعت صلة الرحم

وكما شرعت الزكاة ... شرعت بر الوالدين

وكما شرعت الصيام ... شرعت حقوق الجيران

وكما شرعت الحج ... شرعت حقوق المسلمين بعضهم بعضا

كما شرعت العبادات ... شرعت المعاملات

وفي هذه الخطبة بإذن الله نبدأ الحديث عن علاقة المسلمين بعضهم بعضا في ظل الإسلام حتى تفتخر بهذا التشريع البديع وبهذه النصائح الغالية من نبي الإسلام ﷺ.

مما زادني فرحًا وتيهًا ... وكدت بأخمصي أطأ الثريا

وجودي تحت كلمة يا عبادي ... وأن صيرت لي أحمد نبيا

فإذا تدبرنا عباد الله آيات الله البينات؛ لوجدنا حرص الشرع على المحبة، والتآلف، والتوادّ بين المسلمين، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ [الحج: ٣٠]، وحرمات الله أي: ما جعله محرّمًا من الأماكن، أو الأزمان، أو الأشخاص، ومنهم المسلمون.

ويقول تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الحجر: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [سورة الفتح: ٢٩] فبيّن الله تعالى أن التعامل بين المسلمين يكون بالمودة والرحمة، ويقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[سورة الحجرات: ١٠].

ويقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [سورة الحجرات: ١١].

الخلق الأول: عدم إيذاء المسلمين

قال تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾** ﴾[الأحزاب: ٥٨]، فها هو يبين سبحانه أن إيذاء المسلمين يؤدي بصاحبه إلى الإثم.

عباد الله إن كف الأذى أمر مطلوب، بل ويأخذ بيد صاحبه إلى الجنة، فقد قال رسول الله ﷺ: (**مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ، فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ**)[1]، وفي رواية أخرى: (**فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ**)[2]، إن إماطة الأذى عن الطريق – عباد الله– شعبة من شعب الإيمان، فقد قال رسول الله ﷺ: (**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ، بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**)[3]، ثم انظروا – عباد الله– كيف أن النبي ﷺ يريد بالأمة التواد، والمحبة، وعدم الإيذاء، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: (**مَاذَا يُنْجِي الْعَبْدَ مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: الإِيمَانُ بِاللَّهِ، قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّ مَعَ الإِيمَانِ عَمَلا؟ قَالَ: تُرْضَخُ مِمَّا رَزَقَكَ اللَّهُ، أَوْ يُرْضَخُ[4] مِمَّا رَزَقَهُ اللَّهُ، قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فَقِيرًا لا يَجِدُ مَا يُرْضَخُ؟ قَالَ: يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَيِيًّا لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَلا يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ ﷺ: فَلْيَصْنَعْ لأَخْرَقَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ أَخْرَقَ، لا يُحْسِنُ أَنْ يَصْنَعَ؟ قَالَ ﷺ: يُعِينُ مَغْلُوبًا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ ضَعِيفًا لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعِينَ مَغْلُوبًا؟ قَالَ ﷺ: مَا تُرِيدُ أَنْ تَدَعَ لِصَاحِبِكَ مِنْ خَيْرٍ؟**

---

[1] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٩١٤).

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٦٥٢)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٩١٤).

[3] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٣٥).

[4] الرضخ: العطية القليلة.

قَالَ ﷺ: فَلْيُمْسِكْ أَذَاهُ عَنِ النَّاسِ، قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ فَعَلَ هَذَا، لِيَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَصْنَعُ خَصْلَةً مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ إِلا أَخَذْتُ بِيَدِهِ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ)[1].

فانظر إلى حرص الشرع على هذا الأمر أشد الحرص، حتى نجد النبي ﷺ يقول: (**إِذَا مَرَّ أَحَدُكُمْ فِي مَسْجِدِنَا أَوْ فِي سُوقِنَا، وَمَعَهُ نَبْلٌ؛ فَلْيُمْسِكْ عَلَى نِصَالِهَا، أَوْ قَالَ: فَلْيَقْبِضْ بِكَفِّهِ أَنْ يُصِيبَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا شَيْءٌ**)[2]، الله أكبر! انظروا إلى الشفقة والرحمة في أعلى درجاتها، فلا إيذاء بين المسلمين مطلقا؛ سواء في الطريق، أو في العمل، أو غير ذلك، فكل أذى يعوق ويعرقل سير المسلمين محرم، وأعظم هذا الأذى في بلادنا المقاهي، أذى في شَغْل الطريق بأناس أقل ما يقال عنهم أنهم ما عندهم هدف واضح؛ تضييع في الأوقات، وفي الصحة، وفي الأعمار، ينظرون يمينًا ويسارًا، فكيف بامرأة محترمة أو طفل يتأدب أن يسير بجانب هؤلاء.

يقول رسول الله ﷺ: (**إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا، فَقَالَ: إِذْ أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ؛ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ**)[3].

ومن إيذاء المسلمين ابتزاز أموالهم كرشوة، وعمل حفر في الشارع وتركها دون معالجة، وفتح المذياع بصوت عالٍ، والأفراح التي تزعج المسلمين، والألفاظ القبيحة، والتبرج والسفور.

وهذا جزء من بعض حقوق المسلمين

وكذلك من إيذاء المسلمين ترك حقوقهم التي سوف نذكرها فيما يلي:

---

[1] أخرجه البيهقي رحمه الله في شعب الإيمان (٣٠٥٥)، وقال الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (٢٣١٨): حسن لغيره.

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٧٠٧٥)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٦١٥).

[3] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٦٢٢٩)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢١٢١)، واللفظ للبخاري رحمه الله.

الخلق الثاني: الرحمة والشفقة والرفق

يقول ﷺ: (**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**)[١]، ومن في السماء هو الجبار سبحانه مستوٍ على عرشه في السماء ومعَنا في كل مكان بعلمه، ويقول ﷺ: (**لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ**)[٢]، ويقول ﷺ: (**مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا؛ فَلَيْسَ مِنَّا**)[٣].

قال العارف البوني رحمه الله: "**فإن كان لك شوق إلى الرحمة من الله؛ فكن رحيما لنفسك ولغيرك، ولا تستبد بخيرك، فارحم الجاهل بعلمك، والذليل بجاهك، والفقير بمالك، والكبير والصغير بشفقتك ورأفتك، والعُصاة بدعوتك، والبهائم بعطفك ورفع غضبك، فأقرب الناس من رحمة الله أرحمهم بخلقه**"[٤].

الرحمة – عباد الله- أثر من الجمال الإلهي الباقي في طبائع الناس يحدوهم إلى البر، ويهبُّ عليهم في الأزمات الخانقة ريحًا ترطب الحياة وتنعش النفوس، قال رسول الله ﷺ: (**جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ**)[٥].

وتعالوا معي عباد الله نطوف مع أحاديث النبي ﷺ نبي الرحمة؛ لندرك قوله تعالى ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾** ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

علمنا النبي ﷺ الرحمة بالمسلمين، سواء كان هذا المسلم قريبًا أم بعيدًا، فبِرُّ الوالدين رحمة، وبر الأرحام رحمة، وبر الجيران رحمة.

وانظر كيف كان النبي ﷺ يعلمنا الرحمة مع نسائنا وأهلنا: فقد كان عثمان ابن مظعون

---

[١] أخرجه الترمذي رحمه الله في سننه (١٩٢٤)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي (١٩٢٤).

[٢] أخرجه أبو داود رحمه في سننه (٤٩٤٢)، وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود (٤٩٤٢).

[٣] أخرجه أبو داود رحمه الله في سننه (٤٩٤٣)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود (٤٩٤٣).

[٤] فيض القدير (٤٤٨٩)، للمناوي رحمه الله.

[٥] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٦٠٠٠)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٧٥٢).

يصوم النهار ويقوم الليل، وقد أهمل زوجته، فاشتكت إلى أمّنا عائشة رضي الله عنها، فقال له النبي ﷺ لما قابله: (**فَاتَّقِ اللَّهَ يَا عُثْمَانُ؛ فَإِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**)[1].

رحمته ﷺ بالأطفال: رآه الأقرع بن حابس وهو يقبّل الحسن بن علي رضي الله عنهما، فقال له: لي عشرة من الولد ما قبّلت منهم واحدًا، فقال رسول الله ﷺ: (**أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ**)[2]، وفي رواية (**لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ**)، وعن عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين: (**أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِصَبِيٍّ، فَبَالَ عَلَى ثَوْبِهِ؛ فَدَعَا بِمَاءٍ فَأَتْبَعَهُ إِيَّاهُ**)[3]، هكذا بكل بساطة، هذه الرحمة تفعل الأعاجيب في القلوب المؤمنة.

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: (**صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْأُولَى، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، قَالَ: وَأَمَّا أَنَا، فَمَسَحَ خَدِّي، قَالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا، أَوْ رِيحًا، كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ**)[4]، إن هذه الرحمة مع الأطفال لها تأثير بالغ في دينهم وأخلاقهم.

وقال أنس رضي الله عنه: (**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو عُمَيْرٍ قَالَ: أَحْسِبُهُ فَطِيمًا، وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟ نُغَرٌ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ**)[5]، والنغر هو فراخ العصافير.

الرحمة مع الخدم: يقول النبي ﷺ: (**إِنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ؛ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ؛ فَأَعِينُوهُمْ**)[6]

---

[1] أخرجه أبو داود رحمه الله في سننه (١٣٦٩)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود (١٣٦٩).

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٥٩٩٨)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٣١٧)، واللفظ للبخاري رحمه الله.

[3] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٢٢٢).

[4] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٣٢٩).

[5] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٦٢٠٣)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢١٥٠)، واللفظ للبخاري رحمه الله.

[6] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٢٥٤٥)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٦٦١)، واللفظ للبخاري رحمه الله.

وهكذا العمال في المصنع المتجر، هم قبل كل شيء إخواننا، فارحمهم وارحم أولادهم، واعلم أنهم يحبون السعادة كما تحب، ويحبون الاطمئنان كما تحب، فأدخل عليهم السعادة والاطمئنان.

ولما ضرب أبو مسعود رضي الله عنه غلامه بالسوط؛ قال له النبي ﷺ: (**اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْه**)[1]، فأعتقه أبو مسعود رضي الله عنه.

الرحمة بالمسلمين حتى في العبادات: فعن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ؛ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ**)[2].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (**أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، قَالَ: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَطُّ أَشَدَّ غَضَبًا فِي مَوْعِظَةٍ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، قَالَ: فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ؛ فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ، وَالْكَبِيرَ، وَذَا الْحَاجَةِ**)[3]، ولما وجد النبي ﷺ رجلًا في سفر، اجتمع الناس عليه يظللونه، وعلم أنه صائم؛ قال: (**لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ**)[4]، فلتقم الليل كله إن أحببت، ولتصم بينك وبين نفسك معظم دهرك إن استطعت، ولكن لا تعبد الله على حساب الناس؛ فقد تصل بذلك إلى الرياء.

الرحمة مع الجهلاء: لما دخل أعرابي فبال في المسجد، فقام الصحابة رضي الله عنهم ليضربوه؛ نهاهم ﷺ وقال: (**لَا تُزْرِمُوهُ**)[5] -أي لا تقطعوا بولته- (**دَعُوهُ، فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ، لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا**

---

[1] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٦٥٩).

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٧٠٧).

[3] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٦١١٠)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٤٦٦).

[4] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (١٩٤٦).

[5] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٦٠٢٥)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٨٥).

الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ ﷻ، وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ)[1]، ثم قال للصحابة ﵃: (**دَعُوهُ وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ)**[2]، نعم، فالجاهل لم ولن يتعلم إلا بالرفق.

رحمته مع أعدائه: كان ﷺ في الغزوات يأمر ألا يقتل وليدٌ، أو امرأة، أو عسيف[3]*، ولما أسلم ثمامة بن أثال ﵁ سيد أهل اليمامة؛ قال للرسول ﷺ: (**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ)**[4]، ولما رجع إلى دياره في اليمامة؛ منع إرسال القمح إلى قريش حتى يتبعوا محمدًا ﷺ، فلما أضر بهم كتبوا إلى رسول الله ﷺ: إن عهدنا بك وأنت تأمر بصلة الرحم وتحض عليها، وإن ثمامة قطعنا ميرتنا وأضر بنا، فإن رأيت أن تكتب إليه أن يخلي بيننا وبين ميرتنا؛ فافعل، فكتب إليه الرسول ﷺ وأن خلّ بين قومي وبين ميرتهم[5]، وتدبروا معي كلمة "قومي"؛ فإنها تنم عن رحمة وخلق عميق في قلب طاهر.

رحمته بالحيوان: حتى إن الحيوان كان يشتكي له ظلم الإنسان.

فعن عبد الله بن جعفر ﵄ أن النبي ﷺ: (**دَخَلَ يَوْمًا حَائِطًا مِنْ حِيطَانِ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ؛ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ، فَسَكَتَ، فَقَالَ: مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟ فَجَاءَ فَتًى مِنْ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا؟**

---

[1] رواه مسلم رحمه الله (٢٨٥).

[2] رواه البخاري رحمه الله (٦١٢٨).

[3] صححه الألباني رحمه الله.

*عسيف: مملوك، أو خادم أو أجير.

[4] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٣٧٢)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٧٦٤).

[5] الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢١٥/١)، لابن عبد البر رحمه الله.

فَإِنَّهُ شَكَى إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ)[1] (أي تنكده وتتعبه).

ولما رأى النبي ﷺ حمارًا قد وسم في وجهه أثر الكي (فترك الكي علامة)؛ قال ﷺ: **(لَعَنَ اللَّهُ الَّذِي وَسَمَهُ)**[2]؛ لأنه وإن كان بهيمة؛ لكنه مخلوق خلقه الله تعالى يتأثر ويشعر كما يتأثر بنو آدم.

ولما كانت أمّنا عائشة رضي الله عنها على بعير صعب، فجعلت تصرفه يمينًا وشمالًا؛ فقال لها النبي ﷺ: **(إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ)**[3].

إن نزعة رحمة تعتري قلب المسلم، لَتغفرُ له كبائر المعاصي

قال رسول الله ﷺ: **(بَيْنَا رَجُلٌ بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا، فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا، فَقَالَ: فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ)**[4].

وكذلك قال النبي ﷺ: **(بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ[5]، كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ)**[6].

فالرحمة تغير الأخلاق حتى يرضى عنك رب الأرض والسماوات.

ورأى عمر رضي الله عنه رجلًا يسحب شاة برجله ليذبحها فقال: ويلك، قُدْها إلى الموت قودًا جميلًا[7].

---

[1] أخرجه أبو داود رحمه الله في سننه (٢٥٤٩)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود (٢٥٤٩).

[2] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢١١٧).

[3] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٥٩٤).

[4] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٢٤٦٦)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٢٤٤).

[5] بئر.

[6] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٣٤٦٧)، وروا مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٢٤٥).

[7] أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه (٨٦٠٥)، وقال المنذري رحمه الله في الترغيب والترهيب (٣/٢١٣): إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما، وضعفه الألباني رحمه الله في غاية المرام (٤٠).

واعلم —رحمني الله وإياك– أن الرحمة ليست حنانًا لا عقل معه أو شفقة تتنكر للعدل والنظام، كلا إنها عاطفة ترعى هذه الحقوق جميعا.

إن منظر المشنوق وجسمه يتأرجح في الهواء وعيناه تعشقان الضوء وتطلبان النجاة منظر يستدر العطف، ولو أجيبت هذه العاطفة السريعة، وأطلق سراح القاتل؛ لامتلأت الأرض فوضى، ولهذا يقول تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩]، فمن رحمتك بالمسلمين أن تطبق فيهم شرع الله تعالى، ومن رحمتك لأولادك أن تربيهم وإن استعملت معهم بعض الشدة، فهي شدة تحمل أسمى معاني الرحمة، فهذه رحمةٌ بهم أن يفسدوا، ومن رحمتك بالموظفين المسئول عنهم أن تعطيهم بعض الجزاءات إن أهملوا؛ رحمة بهم أن يأكلوا حراما.

وبهذا عباد الله نكون قد تكلمنا عن البر والإحسان للمسلمين متمثل في عدم الإيذاء والرحمة.